المحور الرابع: التركيب والتغير الوظيفي داخل المدن

1- مكونات المدينة:

وتتكون من العناصر التالية:

- **مركز المدينة** : منطقة الخدمات الرئيسية الذي يحتوي الأنشطة والمتطلبات المعيشية التي تخدم المدينة.
- **المنطقة السكنية:** هي الأحياء والمجاورات السكنية بأنواعها المختلفة.
- **شبكة المواصلات:** وهي الطرق بأنواعها المختلفة.
- **الخدمات العامة:** وهي التي لا تتمركز في قلب المدينة كالمستشفيات والمدارس.
- **المنطقة الصناعية:** وهي التي تحتوي على المصانع والورش الكبيرة.
- **المساحات الخضراء والمفتوحة:** وتشمل المنتزهات والملاعب.

2- نظريات التركيب الداخلي للمدن

يعبر مفهوم التركيب الداخلي للمدن The internal structure of cities عن استعمالات الأرض Land use التي تشغل الحيز الحضري للمدينة كالاستعمالات السكنية والتجارية والصناعية والإدارية والدينية والترفيهية والنقل .ويعبر عن هذه الاستعمالات بالوظائف التي تؤديها المدينة ،كأن يعبر عن الاستعمال السكني بالوظيفة السكنية وهكذا . وكل هذه الأنماط تكون موزعة حول المنطقة المركزية CBD، تكون المنطقة المركزية عادة إما صناعية أو إدارية.

وبالرغم من التشابك والتداخل بين استعمالات المختلفة للأرض في المدينة فإن المهتمين بدراسات المدن من جغرافيين واجتماعيين واقتصاديين قد اكتشفوا قوانين وأفكار ونظريات تفسر توزيع هذه الاستعمالات سواء من حيث قربها لقلب المدينة أو بعدها عنها نحو الأطراف. لا توجد نظرية متكاملة تصدق في تفسيرها لجميع الاستعمالات ولكل المدن وأنه من الضروري التعرف على تلك النظريات أو على أبرزها.

ومن أهم النظريات التي فسرت النمو الحضري والتغير الوظيفي داخل المدن هي :

أ- نظرية الدوائر المتمركزة Contently Zone Theory.

قام الباحث الاجتماعي إرنست بورغس Ernest Watson Burgess بعمل دراسة لمدينة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1925 م، وخلاصة هذه النظرية هي بأن المدن تتوسع على شكل عدة دوائر، وتقسم هذه النظرية المدينة إلى 5 مناطق دائرية وهي:

- **منطقة قلب المدينة:** هي نواة المدينة التي تشمل جميع الخدمات.

- **منطقة الانتقال:** تتميز بتغيرات الكبيرة جداً حيث تكون متدرجة في استعمالاتها، وتوجد فيها المساكن على مستويات مختلفة مثل المساكن العريقة والعمارات السكنية محدودة الدخل أو المنخفضة.
- **منطقة سكن العمال:** تعرف عادت بأنها أقل الأماكن تكلفة للسكن.
- **منطقة المساكن الأفضل:** تكون هذه الأماكن للأفراد متوسطي الدخل.
- **منطقة الضواحي:** تمتاز بوجود خطوط المواصلات وبعض الخدمات الرئيسة ويسكنها الأغنياء.

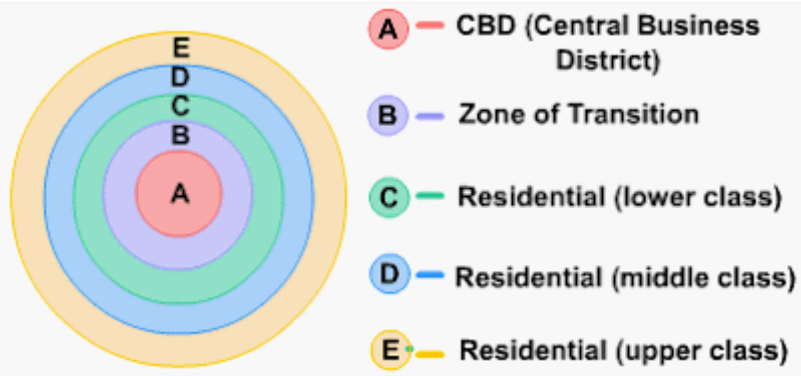

ب- نظرية القطاع أو نموذج هويت:

وهو نموذج خططه العقاري والمستثمر هوميروس هويت Homer Hoyt في عام 1939 م، وتقوم هذه النظرية على تقسيم المدينة إلى 5 قطاعات ولها مركز وهي:

- **المنطقة المركزية للأعمال التجارية:** وهي تشمل كل من المكاتب والبنوك والمتاجر والمستشفيات والشركات وغيرها.
- **منطقة تجارة الجملة والصناعات الخفيفة:** تشمل مصانع كل من الملابس والخزف ودور النشر والصحف وغيرها.
- **مساكن ذو الدخل المنخفض:** وهي تشمل البيوت الشعبية ومساكن العمال وتكون ذات تكلفة منخفضة.
- **مساكن ذو الدخل المتوسط:** وهي تشمل عادة العمائر متوسطة الأجر.
- **مساكن ذو الدخل المرتفع:** وهي مساكن أغنياء المدينة وتتميز الفخامة والبناية الحديثة.

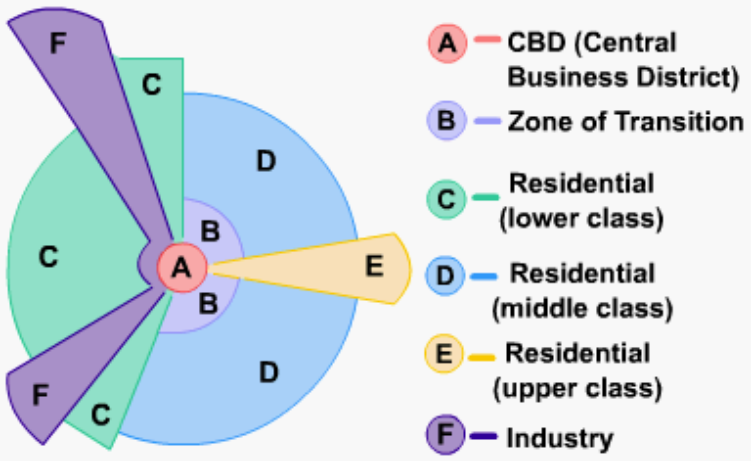

ج- نظرية النوايا المتعددة:

قدم هاريس واولمان نموذجا لا يتجمع فيه نمط استخدام الأراضي حول مركز واحد، بل حول نويات مركزية منفصلة، وتقسم هذه النظرية المدينة سبعة مراكز وهي:

- **المنطقة المركزية للأعمال التجارية:** تتضمن المتاجر والبنوك والفنادق.
- **منطقة تجارة الجملة والصناعات الخفيفة:** تتضمن مصانع كل من الملابس والخزف ودور النشر والصحف وغيرها.
- **مساكن ذو الدخل المنخفض:** وهي تتضمن البيوت الشعبية ومساكن العمال وتكون ذات تكلفة منخفضة.
- **منطقة الصناعات الثقيلة:** تتضمن مصانع سبائك ومصانع كلا من الحديد والفحم والصلب والسيارات وغيرها.
- **منطقة الأعمال والتجارة الخارجية:** وتضم مركز أخر للتجارة وتكون متصل بالمركز الذي يكون داخل المدينة.
- **مساكن الضواحي:** تضمن المساكن ذات الأراضي الواسعة وذلك لانخفاض أسعارها بسبب بعدها عن منطقة مركز المدينة.
- **صناعات الضواحي:** وتضم الصناعات الكيماوية والتكرارية وغيرها من الأنشطة.

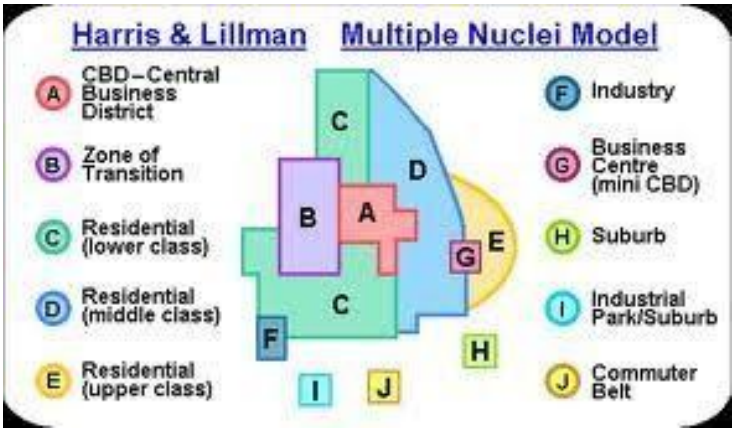

3- وظائف المدن:

كلما كبر حجم المدينة وازدادت أهمية موقعها كلما ازداد تنوع استعمالات الأرض فيها وأضيفت إلى وظائفها وظائف جديدة كالاستعمال الصناعي والصحي والتعليمي والترفيهي واستعمالات الارض للنقل والكثافة السكانية ونوع السكن ومستوى الدخل وغيرها من الخدمات الأخرى، والتي نذكر منها ما يلي:

- **الوظيفة الحربية:** يرى بعض الباحثين أن أساس وظيفة المدن تاريخياً هو الدفاع وأن أول مدينة نشأة في التاريخ كانت عسكرية، حيث أن أغلب المدن القديمة لجأت إلى الحماية بالمتاريس أو الأسوار التي تحيط بها، ومن هنا كان

السور أو الحائط ظاهرة مشتركة بين أغلب المدن في الماضي. كما أن الوظيفة الحربية هي واحدة من وظائف المدن في الوقت الحالي.

- **الوظيفة التجارية:** إن المدن التجارية هي أقدم مدن العالم بشكل عام، ومدن العالم العربي بشكل خاص، حيث يرجع ذلك إلى موقع العالم العربي الجغرافي وتوسطه لثلاث قارات مهمة، وتقع أغلب المدن التجارية عند التقاء الطرق البرية أو البرية والمائية أو عند التقاء الأقاليم المختلفة في الإنتاج، أو عند التقاء اليابس بالماء، ومن أشهر المدن التجارية في الماضي مكة المكرمة وتدمر وغزة.
- **الوظيفة الصناعية:** ليست الصناعة سبب تكون المدن بشكل عام، ولكن الصناعة تتسبب في تكون الكثير منها وعلى سبيل المثال أدت الصناعة إلى تكون بعض المدن مثل ديترويت في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت مركزاً من أجل جمع الفراء وتجارته ثم تحولت إلى صناعة السيارات فزاد عدد سكانها بشكل كبير، ومن المدن التي نشأت بسبب الصناعة مدينة نوفو سيبريك وماغنيتوغورسك في الاتحاد السوفيتي سابقا.
- **الوظيفة السياسية:** إن الوظيفة السياسية تعد من أهم الوظائف القديمة للمدن، حيث لاحظ التاريخ بأن الوظيفة السياسية للمدينة اتخذت شكلاً محدداً فيما أطلق عليه عصر (دول المدن) مثل أثينا ، حيث يتحكم في تحديد المدن العواصم أمران مهمان وهما: وظيفتها كقلب للدولة، سهولة اتصالها بالخارج كمندوب عن الدولة، ويتم اختيار مواقع العواصم وفقاً لعدة أسس ومن ما يلي:
  - التوسط الجغرافي: مثل كل من: الرياض، مدريد، القاهرة.
  - توسط منطقة التركز السكاني: مثل كل من: واشنطن، باريس، لشبونة.
  - الأصالة التاريخية: قد تتم وحدة دولة حول مدينة قديمة فتصبح عاصمة، مثل كل من باريس، برلين، دمشق.

التوجه السياسي حيث تقوم الدولة باختيار عاصمتها في مكان من السهل الدفاع عن الدولة منه كاختيار الأطراف التي تتوقع منها الخطر مثل كل من: دلهي، بكين، الجزائر، وتونس، كما في أغلب الأحيان تحاول بعض الدول اختيار أو بناء عاصمة جديدة من أجل تعمير منطقة ما، أو بسبب اكتظاظ السكان في العاصمة السابقة، وأهم مثال على ذلك هو اصدار قرار حكومي ببناء مدينة برازيليا وجعلها عاصمة للبرازيل في عام 1956 ميلادي بدلاً من ريو دي جانيرو التي اكتظت بسكانها.

- **الوظيفة الدينية:** الوظيفة الدينية من أقدم وظائف المدن، حيث تم تسميته بعض مدن المصريين القدماء نسبة إلى الآلهة التي كانوا يعبدونها، وفي اليونان بنيت أثينا كمعبد للإلهة أثينا، كما أن مدن السومريين لم تبنى إلا للعبادة، وتنقسم المدن الدينية إلى:
  - مدن حج مثال عليها كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة.
  - مدن الأضرحة ومن الأمثلة عليها مدينة طنطا.

- مدن الحكم الديني مثال على ذلك كل من روما، بغداد، والقيروان.

- مدن الأديرة أو الزوايا، حيث تكون هذه المدن مبنية على الأطراف ومنعزلة في غابة أو مستنقع، كما تكون بعيدة عن العمران، ومن الأمثلة عليها مدن التبت (اللامات) والرباط التي كان يرابط بها الشيوخ المجاهدون.

- **الوظيفة الثقافية:** مثل كل من: الأزهر، جامعة الزيتونة، وهناك أيضاً المدن الجامعية في أوروبا مثل كل من أكسفورد وكمبردج في بريطانيا، برنستون في الولايات المتحدة الأمريكية.
- **الوظيفة الصحية:** ومثال عليها مدن المياه المعدنية ومدن المصحات، ومدن الاعتزال.
- **الوظيفة الترفيهية:** مثل المحطات الجليدية ومدن المشاتي والمصايف البحرية.